

الكاتب: د/ طه حسن عقاب الزعابر
 باحث مساعد في جمعية عجلون للبحوث
 عنون المقال: الصناعات الزراعية في غور الأردن
 في العصرين الأيوبي والمملوكي
 والدراسات_الأردن.
 (هـ/ 1173-1517م 923-569)

البريد الالكتروني: khlaifgh@yahoo.com

تاريخ الارسال: 2019/06/18 تاريخ القبول: 2019/08/25 تاريخ النشر: 2019/09/30

الصناعات الزراعية في غور الأردن في العصرين الأيوبي والمملوكي
 (569-923هـ / 1173-1517م)

Agricultural Industries in the Jordan Valley in the Ayyubid and Mamluk Ages
 (AH / 1173-1517 / 923 -569)

الملخص بالعربية:

اشتهر غور الأردن في العهدين الأيوبي والمملوكي بتنوع وتعدد غلاته الزراعية ، وذلك نظراً لوفرة مياهه، وخصوبة تربته، ومناخه الملائم، وأدى إلى أن تكون منطقة الغور منطقة زراعية من الدرجة الأولى، وغطت خلال فترة الدراسة الحاجة الغذائية لسكانها المحليين، وقامت بتصدير الفائض من الإنتاج إلى المناطق المجاورة. ونظراً لتنوع الغلات ووفرة الإنتاج الزراعي في الغور الأردني فقد اتجه السكان إلى التصنيع الزراعي، فأقيمت المصانع في مختلف أجزائه، وتهدف هذه الدراسة إلى لقاء الضوء على منطقة الغور في العصرين الأيوبي والمملوكي من حيث تصنيع المنتجات الزراعية التي اشتهر بها ، ولتحقيق هذا الهدف اتبع الباحث المنهج التاريخي التحليلي. وتوصلت الدراسة إلى وجود ما يقارب 17 صناعة من أبرزها صناعات : السكر ، والزيت ، والمنسوجات القطنية وغيرها من الصناعات الهامة في حياة السكان، وبالرغم من الأهمية الحالية للزراعة في غور الأردن إلا أنه يخلو من وجود المصانع وهنا تكمن مشكلة الدراسة ومبرراتها وأهميتها التي تتمثل في إعادة الدور الحضاري للغور والتوجه للتصنيع الزراعي. الكلمات المفتاحية:

غور الأردن، ووفرة المياه، المناخ الملائم، التربة الخصبة، الصناعات الزراعية، العصرين الأيوبي والمملوكي.

Abstract :

The Jordan Valley in the Ayyubid and Mamluk covenants was known for its diversity and multiplicity of agricultural yields due to its abundance of water, fertile soil and suitable climate. This area was a famous of an agricultural production. During the study period, it covered the nutritional needs of its local inhabitants and exported surplus production to Nearby areas. .

In view of the growth of yields and the abundance of agricultural production in the Jordan Valley, the population trends to agricultural processing. The factories were established in different parts. The aim of this study is to shed light on the Al-Ghor region in the Ayyubid and Mamluk periods in terms of manufacturing agricultural products. for that the researcher used the Historical analysis approach..

The study found that there are 17 industries, the most prominent of which are sugar, oil, cotton and other important industries in the life of the population. Despite the current importance of agriculture in the Jordan Valley, it is devoid of factories now.

And here lies the problem of the study and its justification and importance, which is to restore the agricultural role of Al- Ghor by Orientation to agricultural processing.

Keywords: Jordan Valley, abundance of water, suitable climate, fertile soil, agro-industries, Region of Ayyubid and Mamluks ..

مقدمة:

لعبت منطقة غور الأردن دوراً هاماً في الحياة الاقتصادية عبر المراحل التاريخية المختلفة لما تمتع به من موقع جغرافي هام حيث كان حلقة وصل بين مصر وبلاد الشام وباقي بلدان العالم الآخر، فكان الممر الطبيعي والرئيس الذي يوصل إلى الديار المقدسة، وبذلك يعتبر ملتقى القوافل القادمة والذاهبة، بالإضافة إلى ذلك فإن أيلة (العقبة) التي تعتبر المنفذ البحري على البحر الأحمر والذي من خلاله

اتصلت تجارة الشرق مع تجارة الغرب، وقد ازدهر الغور اقتصادياً أثناء فترة الدراسة لتنوع المحاصيل الزراعية التي كانت تزرع فقد تخصصت المنطقة بصناعات زراعية كان لها شهرتها في مختلف أرجاء البلاد في ذلك الوقت.

وقد اعتمدت الدولة في فترة الدراسة في اقتصادها على ما ينتجه الغور من منتوجات زراعية متنوعة، وفرة المياه وخصوبة التربة والمناخ الملائم، أدى إلى أن تكون منطقة الغور منطقة زراعية بالدرجة الأولى، أدى إلى أن تكون منطقة الغور منطقة زراعية بالدرجة الأولى، غطت احتياجاتها، وقامت بتصدير الفائض من الإنتاج إلى المناطق المجاورة، حتى أن الغور تميز بأنه جمع مزارع لا تجتمع إلا به، وقامت عليها صناعات زراعية متنوعة فاقت بها على غيرها من المناطق المجاورة.

2- التعريف بجغرافية غور الاردن:

يقع الغور⁽¹⁾ بين سلسلتين جبليتين جنوبي بلاد الشام ويجري فيه نهر الاردن الذي يروي المنطقة وما حولها، ويمتاز بارتفاع درجة حرارته، وسكانه أغلبهم من البشرة السوداء في تلك الفترة⁽²⁾، ويقطن على ضفتي النهر الشرقية والغربية، عدد كبير من سكان القرى⁽³⁾، الذين يعملون بحرفة الزراعة لتوفر مياه النهر وروافده، والذي يجري من الشمال ويصب في البحر الميت⁽⁴⁾ جنوباً، وهذه المسافة التي يجري فيها النهر تعد أراضيها من أخصب الأراضي، حيث تنتج عدداً كبيراً من الثمار والخيرات والأشجار وتعد مديني: أريحا⁽⁵⁾ و زُغَر⁽⁶⁾ من أشهر مدن الغور في العصرين: الأيوبي والمملوكي⁽⁷⁾. ومن يتجاوز البحر الميت جنوباً يصل أيلة⁽⁸⁾ (العقبة) مروراً بوادي عربة وغور الصافي⁽⁹⁾.

إن منطقة الغور تعتبر منطقة زراعية من الدرجة الأولى وذلك لمناخها المناسب وتوافر المياه وخصوبة التربة، الأمر الذي جعل منها منطقة استقرار منذ القدم، وقد مارس الإنسان فيها جميع نشاطاته الاقتصادية، وما الزراعة إلا عامل مهم من عوامل الاستقرار، حيث غذاء الإنسان ولباسه، والزراعة هي المادة الأولى للصناعة، حيث صنع الإنسان ما يلزمه من متطلبات تفيده في أعماله اليومية، وقد مارس

سكان المنطقة التجارة القائمة على ما تنتجه منطقة الأغوار من بضائع زراعية متنوعة حيث تعتبر مادة حيوية للتجارة، هذا بالإضافة إلى وجود المعادن المختلفة، وموقع الغور الإستراتيجي⁽¹⁰⁾

3. الصناعات الزراعية :

كان لتنوع المحاصيل الزراعية أثر بارز في تعدد الصناعات عليها، وقد استخدمت هذه الصناعات في مجالات عديدة من نواحي الحياة المختلفة، ومن أهم هذه الصناعات:-

1:3 الصناعة القائمة على قصب السكر:

لقد ازدهرت صناعة السكر في الأغوار في العصرين: الأيوبي والمملوكي، فقد انتشرت زراعة قصب السكر في أماكن عدة من غور الأردن وقد امتاز بجودته العالية⁽¹¹⁾.

وقد وجدت الكثير من معاصر قصب السكر في غور الأردن، من شماله إلى جنوبه⁽¹²⁾، فقد بلغت أوجها في العصرين: الأيوبي والمملوكي، حيث وُجِدَت معصرة بالقرب من طبريا، وفي أريحا وغور الصافي، وفي الشوبك، وغيرها من المواقع الأخرى⁽¹³⁾.

وقد أصبحت الأغوار في العصر الأيوبي إقطاعات خاصة للسلطين والأمراء، ففي عهد إمارة الكرك الأيوبية، كان معظم الغور الشمالي إقطاعاً للسلطان الناصر داوود⁽¹⁴⁾ وأبنائه، من ذلك الغور الأمجدي المنسوب إلى الملك الأمجد مجد الدين حسن بن الملك العادل، وهو صاحب بعلبك، دامت دولته فيها خمسين سنة، قتله مملوكه سنة: (628هـ/ 1230م)، بعد أن نُزعت منه بعلبك ومات قرب دمشق⁽¹⁵⁾ وقد انتقل هذا الإقطاع إلى أبناء الناصر داوود بالإرث عن طريق والدتهم ابنة الملك الأمجد⁽¹⁶⁾، كما أن غور ناعمة الذي نسب إلى قرية ناعمة كان ملكاً للظاهر شاذي بن الملك الناصر داود، الذي توفي سنة (681هـ/ 1282م) ونقل جثمانه إلى بيت المقدس حيث دفن فيها⁽¹⁷⁾.

وفي عصر سلاطين المماليك، زاد الاهتمام بصناعة السكر وأصبحت المعاصر منتشرة في جميع أنحاء الأغوار، ومناطق أخرى من الدولة، وذلك لأهمية هذه المادة في الاقتصاد، فقد أصبحت الأغوار أملاً كلاً سلطانية خاصة⁽¹⁸⁾، وأشرف عليها الشاد (أستادار الأغوار) المربوط بنائب دمشق مباشرة كما أسلفنا سابقاً⁽¹⁹⁾.

وكانت طريقة صناعة السكر تمر بعدة مراحل، يتم في البداية، نقل القصب من المزارع إلى المعاصر التي تكون قريبة من مزارع القصب ويتم نقله على ظهور الجمال أو الحمير⁽²⁰⁾.

ويكون في مبنى المعصرة مخزن تودع به أعواد القصب بعد جلبها من المزارع، ويتم تشذيب القصب بواسطة عمال من أجل هذا الغرض⁽²¹⁾، ثم تنقل الأقصاب إلى مبنى آخر في المعصرة لاستخراج العصير، ويوجد في هذا المبنى اسطوانتين من الخشب، مثبتتين تدوران بشكل معاكس- أي باتجاهين مختلفين- عن طريق ثور مربوط بالآلة يدور حولها، فتدخل الأقصاب بين هاتين الاسطوانتين، وتبدأ عملية العصر التي يتفاوت ضغطها حسب تفاوت درجة اقتراب هاتين الاسطوانتين من بعضهما البعض، ويكون في أسفل المعصرة جرة من الفخار يتم فيه تلقي ناتج هذه العملية، ومن ثم ينقل العصير إلى قسم آخر من أقسام المعصرة⁽²²⁾.

ويصب العصير مرة أخرى في جرار فخارية مختلفة الأحجام، ثم يمضي إلى مراحل⁽²³⁾ من النحاس تقام فوق مواقد عادية مبنية بالطول، وباب الموقد يقع خارج المبنى، ويتم إشعال قش الذرة أو قش الحنطة به حيث تظل النار مشتعلة تحت المرجل حتى يغلي العصير ويستمر لمدة ساعة تقريباً في المرة الأولى، وبعد إزالة الزبد ينقل العصير إلى جرار أخرى، ويصب في قوالب مخروطية ليتبلور في شكل أقماع من السكر⁽²⁴⁾.

وبعد انتهاء العملية كان العصير يُعرض لأشعة الشمس من أجل امتصاص الرطوبة منه، وكان يوضع في أكياس الصوف ثم يطبخ مرة أخرى، ويعصر ثم ينقل إلى دسوت من النحاس ويسمى هذا السائل بالحلب، ويُعالج مرات حتى يتم التوصل

إلى العسل ثم يجفف حتى يتماسك ويضاف إليه مادة عضوية من أجل ان يتحول الى اللون الأبيض، لأن السكر في الأصل يميل إلى اللون الأحمر⁽²⁵⁾.

وتختلف أوضاع معاصر قصب السكر وطريقة عصرها، إذ كانت تتم بثلاث طرق هي: منها ما كان يعتصر بدواليب الماء، ومنها ما كان يعتصر بواسطة الثيران، ومنها ما كان يعتصر بالأعواد الخشبية⁽²⁶⁾.

وقد صدر الفئاض من إنتاج السكر إلى مختلف بلدان العالم آنذاك، فمنه ما كان يستهلك محلياً ويصدر جزء منه إلى الداخل- أي داخل الدولة، ومنه ما صدر إلى أوروبا وغيرها من البلدان، وقد انتقلت صناعة السكر إلى الحجاز وأوروبا⁽²⁷⁾، وكان السكر يصدر إلى أوروبا على عدة أشكال: في شكل مسحوق، أو شراب، أو بلورات السكر، أو في شكل فطائر محشوة بالسكر كحلوى⁽²⁸⁾.

2:3 صناعة الخبز:

يُعد محصول القمح من أهم المحاصيل على الإطلاق قديماً وحديثاً، لأنه المصدر الأول لإنتاج الخبز، وكذلك أهميته الإستراتيجية. حيث يتم تخزينه لعدة شهور، ومن أجل بعض هذه المحاصيل أنشئت الكثير من الطواحين (الأرحية) لطحن القمح، وكانت هذه الطواحين عبارة عن أحجار تديرها المياه بقوة الانحدار لذلك كانت تقام على ضفاف ومجاري المياه، وفي الوديان، وقد انتشرت هذه الطواحين في عدة مناطق في بلاد الشام ومنها الأغوار⁽²⁹⁾.

وقد عرف الأهالي في الأغوار في العصرين: الأيوبي والمملوكي، المطاحن اليدوية (الرحا) وكانت تستخدم في البيوت وهي عبارة عن حجرين من البازلت قطر كل واحد (75م) تقريباً السفلي مثبت على الأرض والعلوي متحرك يُدار بواسطة عصا خشبية مثبتة في جانبه، وفي منتصف الحجر العلوي فتحة من أجل وضع الحبوب من خلالها، يخرج منها عصا خشبي بشكل عامودي لتثبيت الحجرين العلوي والسفلي⁽³⁰⁾.

ولعل أهم الصناعات القائمة على محصول القمح، هي صناعة الخبز بأنواعه فأقيمت لذلك الأفران في المدن لإنتاج مادة الخبز⁽³¹⁾، وكان المحتسب هو الذي يشرف على عمل الخبازين والفرانين، فكان يأمرهم بمراعاة النظافة العامة⁽³²⁾.

أما في الأرياف فأنشئت الطواوين- مفردھا طابون- وهو تنور صغير في الأرض يفرش بالحصى ويوقد الزبل حوله وفوقه حتى يحمى، ثم تُطرح الأرغفة فوق الحصى داخله أو تثبت على جوانبه⁽³³⁾ وقد وجد في كل بيت من بيوت بلاد الشام ومنها الأغوار طابون خاص به، إذ كانت طريقة أهل الأرياف في ذلك بأن يرسلوا القمح إلى المطاحن، ويؤخذ القمح بالوزن ويعيده الخباز إلى أصحابه طحيناً بالوزن، كذلك منعاً للغش، ويكتب على كل قفه اسم صاحب القمح كي لا يختلط بالآخر⁽³⁴⁾.

3:3 استخراج الزيوت:

ازدهرت صناعة استخراج الزيوت في بلاد الشام في العصرين: الأيوبي والمملوكي، والأغوار احتوت على كثير من أشجار الزيتون ومصادر الزيوت الأخرى، لذا انتشرت معاصر الزيتون في المنطقة لكثرة الأشجار هناك لا سيما المناطق الشمالية من الأغوار، مثل: طبريا⁽³⁵⁾.

وزيت الزيتون له فوائد عظيمة، من الناحية العلمية والغذائية، والاقتصادية أيضاً قال تعالى: "الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور..."⁽³⁶⁾. ونستطيع أن نقول أن بلاد الشام ومنها الأغوار تتميز بكثافة أشجار الزيتون، حيث أعتبر الزيتون وما ينتجه من زيت من أهم موارد المنطقة الاقتصادية في العصرين: الأيوبي والمملوكي⁽³⁷⁾.

وكانت طريقة عصر الزيتون تتم بطرق بدائية، فبعد أن تُقطف الثمار عن الأشجار تنفض من الورق، وتنشر في الشمس، وبعد أن تجف تطحن برحى يدوية تسمى: (البد) طحناً ربيعاً حتى لا تتكسر البذور لأنها تفسد صفاء الزيت وتضر

بطعمه، وبعد الطحن تجمع في زنبريل⁽³⁸⁾، يجمع ما يسيل منه من الزيت وإذا انقطع سيلانه، نقل الزنبريل حتى يخرج ما بقي منه من الزيت وبعد أن يجمع الزيت يلقي فيه كف من الملح سريع الذوبان بعد دقه، ويحرك بعضاً من شجر الزيتون، ويترك حتى يصفو ثم يفرغ في أواني زجاجية أو فخارية، ويحفظ بعيداً عن الحرارة والرطوبة كي لا يفسد لأنهما تفسدانه⁽³⁹⁾.

ومن طرق عصر الزيتون الأخرى، أن يسحق بأسطوانة من حجر يديرها بغل، ويتم سحق الزيتون داخل وعاء مستدير من حجر، ومن ثم يكبس الزيتون المسحق لتفريق الزيت عن الماء أو أي شوائب أخرى وذلك ليترك العصير يرق فيفترق الزيت الصافي لأنه يطفو على وجه العصير⁽⁴⁰⁾.

وقد اشتهرت بلاد الشام بجودة زيتها، حيث كانت الأغوار وما حولها تنتج أجود أنواع الزيوت، ويصدر منه إلى الأقاليم المجاورة مثل مصر وبلاد الحجاز⁽⁴¹⁾، وقد بلغ الزيت حداً من الجودة، جعل سلاطين المماليك يهادون به الملوك المعاصرين، فقد تضمنت هدية السلطان جقمق⁽⁴²⁾ إلى ملك الحبشة سنة (847هـ/ 1443م) زلعتين من الزيت الطيب⁽⁴³⁾.

وقد أقيمت الأسواق في أنحاء بلاد الشام المختلفة لتصريف الفائض من إنتاج الزيت، و نظراً لبرودة الطقس في فصل الشتاء في بلاد الشام، فقد استغل أهل المنطقة (النوى) في لب حب الزيتون، إذ كانوا يصنعون منه (الدق) – أو ما يُعرف بالجفت، ليستخدموه في مجالات عديدة مثل: استخدامه للتدفئة والاستخدام المنزلي في مجال الطبخ⁽⁴⁴⁾، وكان الدق يباع في الأسواق المحلية لمدن بلاد الشام وخصوصاً في المناطق المرتفعة والباردة شتاءً، إذ كان له حوانيت مخصصة لبيعه مثل عجلون وبيت المقدس⁽⁴⁵⁾، ويبدو أنه كان للاستهلاك المحلي فقط ولم يُصدر كما هو الحال في الزيت الذي كان يصدر إلى مناطق مختلفة.

وكذلك استخراج الزيت من بذور السمسم في العصرين: الأيوبي والمملوكي، وكانوا يستخدمونه للعلاج أو يستخرجون منه زيت شعر للنساء، وكان يخلط زيت

بماء الورد، وكذلك يستخرج منه "السيرج" الذي يستخدم في صنع بعض الحلويات الشعبية التي كانت منتشرة في تلك الفترة⁽⁴⁶⁾.

4:3 صناعة الصابون:

لقد اشتهرت بلاد الشام بصناعة الصابون في العصرين: الأيوبي والمملوكي، ويعود ذلك لتوفر المادة الأولية لهذه الصناعة وهي زيت الزيتون، الذي كان متوفراً في المنطقة وبكثرة، وكذلك مادة الصودا القلوية التي تستخرج من شجر الأشنان⁽⁴⁷⁾ حيث كانت تجمع هذه النبتة وتحرق لتصبح رماداً ثم يستخدم الرماد في صناعة الصابون⁽⁴⁸⁾.

وقد أشار المقدسي إلى أن تجارة الصابون كانت رائجة في فلسطين، وبلاد الشام، ومن الطبيعي أن تنتشر صناعة الصابون في بلاد الشام وذلك لوفرة زيت الزيتون المادة الأساس في صناعة الصابون⁽⁴⁹⁾.

وقد ازدهرت هذه الصناعة منذ الوجود الصليبي في المنطقة، فقد كانت احتكاراً ملكياً، أي أن الحاكم الصليبي كان مسؤولاً مباشرة عن هذه الصناعة ولا يجوز لصاحب المصنع أن يمارس هذه الصناعة إلا بتصريح من قبل الحاكم، وكان صاحب المصنع يدفع مبلغاً من المال مقابل الحصول على تصريح لمزاولة هذه الصنعة⁽⁵⁰⁾.

وقد صُنِع الصابون بطريقة بدائية لا تزال مستخدمة في بيوت بلاد الشام حتى يومنا هذا، وبالرغم من أن صناعة الصابون كانت معروفة لدى العالم منذ القدم، إلا أن العرب هم أول من أنتج الصابون الصلب⁽⁵¹⁾، وكان إنتاج بلاد الشام من هذا الصابون متقن ونظيف وليس فيه غش⁽⁵²⁾.

وكانت طريقة صناعة الصابون تتم كما يأتي: بأن تؤخذ قطعة من الجير وقطعة من القلي، وتوضعان في حوض، ويصب عليهما خمسة أضعاف ماء ويحرك فترة من الوقت، ثم يُعزل الماء بواسطة صمام في أسفل الحوض، يتم فتحه ويستبدل بماء آخر وتكرر العملية أكثر من مرة، ثم يوضع كمية أكبر من كمية المياه من الزيت

الخاص ويُجعل على النار، (فإذا غلي اشرب الماء شيئاً فشيئاً) حينئذ يصير كالعجين فيغرف على الحصير حتى يجف بعض الجفاف فيقطع ويبسط، ولا حاجة إلى تبريده وغسله بالماء البارد أثناء الطبخ⁽⁵³⁾.

ومن الطرق أيضاً: أن يؤخذ رماد الأشنان ويقسم حسب الفصل إلى أربعة أجزاء في الشتاء وثمانية في الصيف لأن الصابون يجمد بسرعة، ثم يتم طبخه بعد وضع الزيت عليه بقدر، فيمتزج الزيت مع الرماد ثم يسحبون من هذا المزيج طبقة يتركونها مدة يومين قبل أن يضعونها في القدور، وذلك بكميات مختلفة حسب الطبقة ورقتها، أما إذا حدث وتكونت طبقة كمية في القدر فإنهم يرفعون الصفيحة النحاسية الموجودة من القدر فلا تبقى فيه سوى الكمية المناسبة من المزيج، وبعد أن يجمد يخرجون منه الصابون الذي يطفو على سطح المزيج، ويسكبونه على الأرض ويقطعون، ويترك هكذا مدة يوم واحد في الشتاء ويومين في فصل الصيف ليتصلب إلى درجة أنهم يستطيعون السير فوقه، وعند ذلك يُصقل الصابون ويقطع إلى قطع صغيرة الحجم جاهزة للاستخدام⁽⁵⁴⁾.

وقد أنتجت كميات كبيرة من الصابون في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي، وصنع منه أنواع عدة مثل: المعطر، والملون، إلى جانب الصابون الطبي، وقد استهلك منه جزء محلياً ثم صُدر جزء آخر إلى أوروبا عبر ميناء عكا⁽⁵⁵⁾.

5:3 صناعة الحلويات القائمة على الإنتاج الزراعي:

هناك العديد من الحلويات القائمة على المنتوجات الزراعية، والتي انتشرت في بلاد الشام ومنها الأغوار في العصرين الأيوبي والمملوكي، وزيت الزيتون، والسكر والخروب من أهم مصادر صناعة الحلويات، فقد انتشرت هذه المصادر في منطقة الأغوار وبكثرة، مما ساعد على إنتاج أنواع عديدة من الحلويات⁽⁵⁶⁾، ومن أبرز هذه الحلويات: (حلو الخروب) وقد سميت في مصادر أخرى بحلوى الخرنوب⁽⁵⁷⁾، وطريقة عملها أن يطبخ الخروب، ثم يعصر، ويؤخذ ما يخرج منه من الرب فتصنع

منه الحلوى⁽⁵⁸⁾، وقد كان هذا المشروب الأول لدى السلاطين في العصرين: الأيوبي والمملوكي⁽⁵⁹⁾.

ومشروب (الأقسما) نوع من أنواع المشروب كان يشرب مبرداً، مذاقه حلو وهو نوع من مركب من الزيت والسكر وماء الورد، وكان يقدم للسلطان المملوكي أينما ذهب في مصر وبلاد الشام⁽⁶⁰⁾.

ومن الحلويات التي كانت منتشرة في العصرين: الأيوبي والمملوكي في بلاد الشام: (الهريسة)، وهي نوع من الحلوى يصنع من الدقيق والسمن والسكر ويضاف إليها الفستق أو أي شيء، يطبخها من التوابل، وكانت عملية تحضير الهرائس تخضع إلى رقابة من قبل المحتسب، فكان يراعي عدم الغش فيها، ويأمرهم بتنظيف الأواني باستمرار، كي يبقى مشروباً صحياً ويحافظ على مذاقه الحلوى⁽⁶¹⁾.

ومن أنواع الحلوى أيضاً (الأباليج) مفردها أبلوج كانت تصنع من السكر⁽⁶²⁾. وبالإضافة إلى ما ذكرنا من حلويات فقد اشتهرت بلاد الشام والأغوار في العصرين: الأيوبي والمملوكي كذلك بعمل حلوى (الزلابية) وكانت موسمية تصنع في فصل الشتاء من العجين، ومن الحلويات الموسمية التي عرفتها المنطقة (القطايف) وكانت تحضر في شهر رمضان المبارك، وهي عبارة عن خبز يعجن رخواً ويخمر ويسكب على لوح معدني ويضاف إليه اللوز المدقوق والعسل وماء الورد، ولا زالت مثل هذه الحلويات رائجة في الأغوار وكافة بلاد الشام حتى يومنا هذا⁽⁶³⁾.

6:3 تجفيف الفواكه وصناعة الدبس:

الأغوار في بلاد الشام من أكثر المناطق التي تحتوي على عدد كبير من أنواع الفاكهة، وكما هو معروف فإن هذه الفواكه تنضج في موسم معين من السنة، لذا اشتهرت بلاد الشام بتجفيف الفواكه، وذلك لاستخدامها بعد انتهاء موسمها

مثل تجفيف العنب (الزبيب)، والتين (القطين)، والمشمش، والأجاص، والخوخ وغيرها من الفواكه التي جففت في العصرين: الأيوبي والمملوكي⁽⁶⁴⁾.

ومن أشهر الفواكه التي كانت تجفف في الأغوار في العصرين: الأيوبي والمملوكي، العنب (الزبيب)، والتين (القطين)، فقد كان العنب يؤخذ ويغطس في الماء الذي يحتوي على القليل من القلي والزيت ثم يفرش على قطعة من الخشب مستطيلة الشكل لمدة أسبوع أو أكثر فيجف ويصبح زيبياً، ثم يحفظ في مكان بارد حتى يبقى طرياً، أما التين الذي يسقط عن الشجر بعد نضوجه على الأرض، فكان يجمع ويفرش على الأرض حتى ييبس تماماً، ويترك ليلة حيث الندى، ويُرفع قبل طلوع الشمس، حتى لا يتعرض لأشعتها ويتكسر، لأن تعريضه للندى ليلة يبقيه طرياً بعد تخزينه دون تعريضه لأشعة الشمس⁽⁶⁵⁾.

ومن العنب أيضاً كان (الدبس) يطبخ، بأن يوضع في القله⁽⁶⁶⁾ وتدفن في التربة حتى يجمد ومن ثم تكسر القلة، فيخرج قطعة واحدة، وهذا النوع اشتهرت به منطقة شرق نهر الأردن وفي الأغوار⁽⁶⁷⁾، والذي عرف (بجلد الفرس).

وقد عرفت صناعة المربيات من الخوخ والتفاح والتين وغيرها من ثمار الأغوار التي كانت معروفة في تلك الفترة⁽⁶⁸⁾.

لقد كانت صناعة تجفيف الفواكه، مشتهرة في الأغوار ويتم استهلاك جزء منه محلياً في الأغوار وجزء إلى دمشق والحجاز، وما يفيض عن الحاجة كان يصدر إلى الخارج⁽⁶⁹⁾.

7:3 صناعة الخمور:

اشتهرت بلاد الشام بصناعة الخمور منذ عصور ما قبل الإسلام، والتي تعتمد في صناعتها على كروم العنب بشكل أساسي والتي زُرعت في بلاد الشام والأغوار منذ أقدم العصور، واشتهرت بجودتها العالية، وقد تمت الإشارة إلى جودة كروم العنب في الأغوار في سياق هذه الدراسة، ومن المعروف أن كثرة الكروم في الأغوار وما

حولها كان سبباً وراء صناعة الخمر فقد صنعت الخمرة في مناطق عدة من بلاد الشام ومنها الأغوار⁽⁷⁰⁾.

وكان لبلاد الشام شهرة كبيرة في مجال تصنيع الخمر والنبيذ، وكان من يقوم بهذه المهنة هم النصاري واليهود في بلاد الشام، وذلك لاعتبارات دينية كون الدولة في العصرين الأيوبي والمملوكي دينها الإسلام الذي حرم شرب الخمرة والتعامل بها، بدليل قوله تعالى: "يسئلونك عن الخمر والميسر، قل فهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما"⁽⁷¹⁾. وكان التصريح لأهل الذمة للعمل بالخمر مشروط بعدم إظهارها⁽⁷²⁾.

وكانت عملية تصنيع الخمر تتم في نهاية موسم الصيف حيث ينضج العنب تماماً، فيجُمع من الحقول إلى المعاصر، حيث يتم وضعه في أحواض، أو على الصخر، فيتم هرسه جيداً بالأرجل من قبل رجال مخصصين لذلك، يساعدهم في عملهم صبيان، أو يتم هرسه بواسطة إسطوانة حجرية، فيسيل العصير من بين تلك الأحجار، ولكن هذه الطريقة لها سلبيات ومنها: أنه يتم سحق بذور العنب مما يسبب مراراً في طعمه، وبعد عصره، يجمع في حوض تجميع العصير، ويترك أثناء الليل لترسيب الشوائب، لأن به قشور تساعد على التخمر، ويبقى العصير ساعات في هذه الأحواض، وبعد تصفيته وإخراجه من الأحواض، يوضع في جرار من أجل التصفية، ويمكن تغطية سطح العصير بزيت الزيتون.

وكانت بلاد الشام والأغوار تنتج أفضل أنواع الخمر، ولجودته فقد صدرت إلى الخارج، ويبدو ان الوجود الصليبي في المنطقة واشتغالهم بهذه السلعة ساعد على تصديرها إلى أوروبا على أيدي التجار الإيطاليين، التي كانت تُدر عليهم أرباحاً طائلة⁽⁷³⁾، ولم تكن صناعة الخمر امتيازاً خاصاً بالنصارى وإنما سبقتهم اليهود إلى هذه الصنعة⁽⁷⁴⁾، وكذلك كان بعض المسلمين يتناولون شرب الخمرة⁽⁷⁵⁾.

وكان انتشار الخمرة أو اختفاؤها حسب ميل السلطان، ففي عهد الملك العادل سيف الدين بن أيوب (ت: 615هـ/ 1218م) منع الخمرة والمنكر من ولاية دمشق

حتى اضطر من هو مولع بشرهها أن يخرج إلى الضياع لشربها بعيداً عن أنظار رجال الملك فيقع في العقاب⁽⁷⁶⁾، وعندما استلم المعظم عيسى بن الملك العادل (ت: 624هـ/ 1226م)، أعاد ما أبطله أبوه فانتشرت الخمرات من جديد وازداد إقبال الناس على شرب الخمرة⁽⁷⁷⁾، ولم يختلف الحال من عصر سلاطين المماليك عما كان في العصر الأيوبي، فقد أبطل الظاهر بيبرس شرب الخمرة في دولته وأمر بإزالتها، وأبطل الكثير من المحرمات التي كانت منتشرة في الدولة⁽⁷⁸⁾.

8:3 الأدوية واستخراج البلسم:

لقد اشتهرت الأغوار منذ أقدم العصور بتعدد المحاصيل الزراعية والنباتات والأعشاب التي استخدم عدد منها في صناعة الأدوية ولعقاقير الطبية، ولعل شجرة البيلسان (البلسم) من أهم هذه الأشجار في تلك الفترة لما لها من أهمية في علاج الكثير من الأمراض⁽⁷⁹⁾.

ومن أجل استخراج دهن البلسم، كان يتم إحداث شقوق في لحاء الشجرة فيسيل الدهن، ويجمع بأوان وقدور خاصة، وبعد اخذ الدهن كانت تسد الشقوق كي لا تنزف كل العصارة فتموت الشجرة، وبعد ترسيب الشوائب وتعريض الدهن لأشعة الشمس يؤخذ الدهن ويغلى على النار حتى يكتسب لونا أحمرًا ورائحة عطرة، ليصبح دهن يستخدم في علاج الأمراض، فقد استخدم لإدرار البول، وتفتيت الحصا في المثانة، واستخدام أيضا لعلاج بعض أمراض العين، وكذلك لتطهير الجروح وأمراض النساء والولادة وغيرها من الأمراض⁽⁸⁰⁾.

وكان للبلسم أهمية اقتصادية كبيرة في العصرين: الأيوبي والملوكي فقد صدر إلى أوروبا وأدر أرباحا كبيرة على التجار، إذ كان له مكانة خاصة، إلا أن زراعة البلسم أخذت بالتراجع مع عودة حكم المنطقة بالكامل للمسلمين فتضاءلت زراعته، وربما يعود السبب في ذلك أن النصارى كانوا أكثر اهتماما بزراعة الشجرة نظرا لما لها من أهمية في طقوسهم الدينية، فهي تعنيهم أكثر من المسلمين⁽⁸¹⁾.

وقد أقيم في المنطقة (بيمارستان) فيه قسم للصيدلة يتعلم فيه الطلاب تحضير العقاقير من الأعشاب المختلفة التي تجلب من الأغوار ومناطق أخرى من بلاد الشام، ويتم طبخها وعمل المعاجين والمراهم، وقد وصلت الصناعات الدوائية في عصر سلاطين المماليك إلى مستوى رفيع⁽⁸²⁾.

9:3 النيلة والصباغة:

لقد زرعت نبتة النيلة في عدة مناطق من الغور، ومن المعروف أن النيلة في العصرين: الأيوبي والمملوكي، كانت من المواد الأساسية في صناعة النسيج وتلوينه باللون الأزرق، لذا كثر الطلب عليها في كافة أنحاء العالم المعروف آنذاك، وراجت تجارتها فقد جلب التجار الأوربيون النيلة من الأغوار وصدرت إلى أوروبا⁽⁸³⁾. وكانت منطقة زغر جاذبة للعمال، بسبب المعامل فيها لاستخراج النيلة واستخدامه في صبغ الملابس أو تصديره إلى أوروبا⁽⁸⁴⁾.

10:3 صناعة الورق:

لقد كان لصناعة الورق أثر واضح في ازدهار الثقافة، فقد سهل ذلك إنتاج الكتب بيسر وسهولة ولم يسبق له مثيل في التاريخ، حيث انتشرت أعداد كبيرة من المخطوطات من كافة أرجاء العالم الإسلامي خلال فترة زمنية قصيرة، وأصبحت الكتب متوفرة في أيدي الجميع، وازدهرت مهنة الوراقين⁽⁸⁵⁾، وكان انتشار الورق أحد أسباب قيام العلم وازدهاره في الحضارة العربية الإسلامية⁽⁸⁶⁾.

إن أول من صنع الورق هم الصينيين وقد صنعوه من شرائق الحرير، وإنما يرجع الفضل إلى العرب في أنهم استطاعوا استبدال الحرير في صناعة الورق بمواد أخرى أكثر توافراً وأيسر مناً، مما سهل عليهم إنتاج الورق بكمية كبيرة وسريعة، وكان لهم الفضل في نشره في الشرق والغرب حيث لم يعرف الغرب سوى الرقائق الجلدية في كتاباتهم، وقد صنع المسلمون الورق من القطن أولاً، وكان غالي الثمن،

فاستبدلوه بأن صنعوه من النفايات القطنية والخرق البالية، فأصبح متوفراً ورخيصاً، وبمقدور أي شخص الحصول عليه بسهولة⁽⁸⁷⁾.

لقد كانت طبريا في شمال الأغوار من المراكز الرئيسية لصناعة الورق الشامي ويُعزى ذلك لوفرة المياه وانتشار نبات الحلفا في الأغوار، والورق من المواد التي كانت تصدرها بلاد الشام إلى الخارج، ومن طبريا انتقلت صناعة الورق إلى مناطق عدة في بلاد الشام ومواقع أخرى، من العالم⁽⁸⁸⁾.

وللورق أنواع عدة، أبرزها ما كان معروفاً منها في العصرين: الأيوبي والمملوكي ومنها الكاغد الذي يقال للصحيفة منه طرس، وهو فارسي معرب، وأفضل الورق، الناصع البياض ومتناسب الأطراف لا يتغير شكله مع مرور الزمن بسهولة، وكان أجوده الورق البغدادي، الذي كان يقدم لكتابة المصحف الشريف، ويأتي الورق الشامي بالمرتبة الثانية الذي يقل بالجودة عن البغدادي ولكنه يتفوق في الجودة على الورق المصري⁽⁸⁹⁾.

وطريقة صناعة الورق التي كانت متبعة في العصرين: الأيوبي والمملوكي، ظلت متبعة في أغلب البلدان الإسلامية لفترة زمنية طويلة، وبالرغم من إدخال الأجهزة في صناعة الورق، إلا أن مراحل الصنع لا زالت هي نفسها من الناحية الجوهرية⁽⁹⁰⁾، والورق الخفيف الذي يستخدم للكتابة يصنع بطريقة بسيطة وسهلة وقليلة التكلفة، وذلك باستخدام قشر الشجر وألياف الكتان والقنب، وقطع القماش البالية وغيرها من المواد الأولية قليلة التكلفة، وتقطع إلى قطع صغيرة وتنقع لفترة طويلة بالماء المخلوط بالرماد العشبي والخشبي، ويوضع فيه مادة قلوية هي: (الجير) تستخدم في المعالجة الكيماوية للمواد الخام وذلك بطريقة بسيطة، أو يطبخ بالماء الساخن أو البخار ثم تُسحق لتصبح عجينة، ثم يطلى الحصير بطبقة رقيقة منها، وتجفف تحت أشعة الشمس لتصبح ورقاً صالحاً للاستعمال وبتكلفة بسيطة⁽⁹¹⁾.

وقد ساهم العرب المسلمون في تطور صناعة الورق، فقد استخدموا القطن والكتان في صناعته، وكذلك عملوا على صنع الورق بألوان مختلفة، أشهرها:

الأحمر والأصفر من الزعفران، والأزرق من النيله التي كانت تنبت في الأغوار واشتهرت فيها مدينة زغر⁽⁹²⁾.

11:3 صناعة المنسوجات القائمة على القطن والكتان:

لقد كانت صناعة المنسوجات من أقدم وأهم الصناعات التي عرفها الإنسان قديماً فهي من المتطلبات الأساسية التي يحتاجها الإنسان إلى جانب الطعام والشراب والسكن، وقد كانت هذه الصناعات في بلاد الشام في العصرين: الأيوبي والمملوكي، من أرقى الصناعات التي وصل إليها الإنسان في ذلك العصر، فقد بلغت أعلى المستويات، وحظيت باهتمام كبير، وكان المنتج الزراعي الذي تنتجه الأرض يتم استخدامه فيما يحتاجونه في المنطقة التي تنمو فيها تلك النباتات، وكانت منطقة الأغوار في ذلك العصر تنتج أجود أنواع القطن والكتان⁽⁹³⁾.

ولقد كانت الصناعات النسيجية تُمارس في المنازل منذ القدم، وليس هناك من تطور يذكر في آلات الغزل والنسيج وبقيت كما كانت منذ القدم، وما يمكن أن نقول عنه تطور في الصناعات النسيجية هو إضافة الأصباغ وتلوين المنسوجات، ولعل الأغوار كان في مقدمة هذا التطور حيث تم إضافة مادة النيله والكرم في صبغ الملابس والذي اشتهرت فيه الأغوار في العصرين: الأيوبي والمملوكي⁽⁹⁴⁾.

ولأن الصناعات النسيجية كانت تمارس في المنازل فلم يذكر في الأغوار أو المراكز الأخرى، مركزاً لصناعة الملابس، وإنما وجد مركز لصناعة الملابس في القاهرة، وكان ذلك من أجل السلطان وكبار الأمراء وما يخص التشريفات السلطانية المختلفة⁽⁹⁵⁾. وقد استخدم في الصناعات النسيجية الأدوات اللازمة، فتغزل بمغزل خشبي تلف عليها الخيوط، بطريقتهما البدائية والتي ما زالت مستخدمة في المنطقة حتى اليوم، ومن ثم يأتي دور النول في النسيج الذي هو عبارة عن حفرة صغيرة في الغرفة التي تمارس فيها عملية النسيج⁽⁹⁶⁾.

ومن الواضح أن أبرزها ما يصنع من المنسوجات هو اللباس الذي يُعد من أهم متطلبات الحياة بعد الغذاء، فقد صنعوا ملابس الإحرام، والخلع السلطانية والفرش والأحبال والخيام⁽⁹⁷⁾.

وكان ما يتم إنتاجه من منسوجات مختلفة في العصرين الأيوبي والمملوكي، يتم استهلاكه في بلاد الشام كل في منطقته، ويتم تزويد الأسواق المحلية بما تحتاجه من هذه السلع⁽⁹⁸⁾.

12:3 صناعات قائمة على نبات الحلفا:

لقد كان نبات الحلفا منتشراً في مناطق عدة من الأغوار، وكان هذا النبات مناسباً لصناعة الحصر وهو بساط صغير منسوج من الحلفا في أغلب بلاد الشام في العصرين: الأيوبي والمملوكي⁽⁹⁹⁾، وقد سميت الحُصر بالخُميرة أيضاً وهو الحصر الصغير الذي يُسجد عليه وسميت خُمرة لأنها تستر الوجه من الأرض⁽¹⁰⁰⁾.

وقد وجد صنف من الحُصر ذات جودة عالية ينسب إلى الكرك يسمى: (بالكركر) أو (الكركي) فكانت من السلع المطلوبة في أنحاء شتى من العالم⁽¹⁰¹⁾.

وكانت الحُصر في بلاد الشام والأغوار منها تستخدم في العصرين: الأيوبي والمملوكي لفرشها في أرضيات المساجد للصلاة عليها كي تقي جباه المصلين من التراب والحصى، ومزیداً من الحرص على الطهارة، وكان يشرف على هذا الأمر المحتسب، ولا زالت هذه الحُصر مستخدمة في يومنا هذا في بلاد الشام مع إدخال بعض التحسينات عليها وزيادة في صبغتها بألوان عدة أكثر جمالاً⁽¹⁰²⁾.

ومن الصناعات الأخرى القائمة على نبات الحلفا: صناعة السلال والقفف والأحبال، وكانت الحلفا تصدر إلى دمشق ومناطق أخرى لصناعة السلال والقفف التي يستخدمها المزارع في نقل منتوجاته، وكانت هذه السلال تصنع مشبكه من الأسفل والجوانب، كي تكون صالحة للحمل ونقل ما يحتاجه الفلاح من محاصيله، إلى أماكن تخزينها أو عرضها في الأسواق وغير ذلك⁽¹⁰³⁾.

14:3 الفحم النباتي:

لقد انتشرت الغابات الحرجية في بلاد الشام ومنها الأغوار، ومما ساعد على انتاج الفحم أن الأشجار الحرجية غير المثمرة وجدت في المنطقة بكثافة، والملفت في الأمر أن هذه الأشجار وجدت في المنطقة بكثافة، فقد نمت دون جهد او عناء من قبل السكان، وتعود وفرتها لوجود المياه والبيئة المناسبة لنمو مثل هذه الأشجار مثل نهر الأردن⁽¹⁰⁴⁾.

ومن أهم الأشجار التي استخدمت لصناعة الفحم: البلوط، والسرو، والسنديان، بالإضافة إلى عدد من الأشجار المثمرة⁽¹⁰⁵⁾.

وكانت عملية صناعة الفحم النباتي، أن يقوم المزارع بقص أغصان الأشجار إلى قطع بأطوال محددة، ويتم رصها وتكديسها بكهوف خاصة لصناعة الفحم ويتم غلقه بإحكام وتترك فتحة صغيرة في الأعلى، والغرض من هذه الفتحة لإيقاد النار من خلالها وإبقائها مشتعلة، وتبقى كذلك حتى يتفحم الحطب، وبعد ذلك يفتح الكهف حتى يبرد الفحم ثم ينقل بعد ذلك إلى أماكن بيعه⁽¹⁰⁶⁾.

وكان الفحم النباتي يباع إلى مناطق المرتفعات المحيطة بالأغوار، لأن هذه المرتفعات باردة في فصل الشتاء، فكان الفحم يخزن في المنازل لاستخدامه في أغراض متعددة أهمها التدفئة، وطهو الطعام، وأغراض أخرى، وقد خزن الفحم بالقلاع، إذ كانوا يعتبرونه في العصرين: الأيوبي والمملوكي من الذخائر التي يجب تخزينها، لاستخدامها في وقت الحصار وعند الحاجة⁽¹⁰⁷⁾.

3:15 المراكب والصناعات الحربية القائمة على الأخشاب:

لقد كان مركز الدولة الإسلامية في العصرين: الأيوبي والمملوكي في القاهرة فهي عاصمة الدولة الإسلامية، وكانت دولة كبيرة ومتطلباتها وحاجاتها كبيرة وضخمة، وكانت الأخشاب مادة أولية للصناعة في كثير من الحاجات وفي مقدمتها صناعة المراكب والسفن، فلم تكن الغابات الصغيرة المتبقية في بلاد الشام وفي الأغوار تكفي لمتطلبات هذه الصناعة الضخمة التي تعتمد اعتماداً كاملاً على الأخشاب⁽¹⁰⁸⁾، ولسد النقص في الأخشاب، كان على الدولة أن تؤمن مصادر

للحصول على الأخشاب التي تحتاجها، فقد كان يُحتفظ في كل قطعة خشب يمكن استخدامها في صناعة السفن، كما كان هناك من يشرف على الغابات العامة، والوسيلة الأهم في تأمين ما يلزم لصناعة السفن هي التجارة والاستيراد من المناطق التي تكثر فيها الأشجار مثل أوروبا والأناضول وأرمينيا وغيرها⁽¹⁰⁹⁾.

ولقد كانت الحاجة لبناء أساطيل السفن ضرورة ملحة بالنسبة للدولة الإسلامية في العصرين: الأيوبي والمملوكي، لذا فقد أقيمت عدة مراكز لصناعة السفن والمراكب منها مركز في أيلة والمركز الآخر في زُعر في الأغوار⁽¹¹⁰⁾.

وقد عرفت الدولة الإسلامية في العصرين: الأيوبي والمملوكي عدداً من أنواع السفن التي استخدمت في الأساطيل الإسلامية، وكان كل نوع منها مخصص لغرض معين، ومن هذه السفن: الشواني والحراريق (الحراقات)، والطرادات، والأغربة، والبطش، أو البطسه والمسطحات وغيرها، وقد وقفت أيلة في وجه القائد الصليبي أرناط عندما أراد السيطرة عليها، وكان هدفه السيطرة على التجارة المارة عبر البحر الأحمر (القلزم)، كي تكون أيلة مركزاً لإنطلاق سفنه ومهاجمة الديار المقدسة (الحجاز) والاستيلاء على ما فيها من ذخائر، فجهز أرناط مراكب مصنوعة من أخشاب غابات الكرك، وعهد بها إلى الصناع في الكرك وجرب قسم منها في البحر الميت ثم نقلها على ظهور الجمال إلى أيلة، فقام الصناع بتركيبها وإعدادها، وكان ما صنعه في الكرك خمسة غرابان وعدداً كبيراً من المراكب الصغيرة، وكذلك وجدت صناعة المراكب في زُعر واستغلت الأخشاب الموجودة في جبال الشراة ومؤاب في صناعة هذه المراكب، وكانت المراكب تنتقل بين طرقي البحر الميت من زُعر جنوباً إلى أريحا شمالاً⁽¹¹¹⁾.

وكان (المنجنيق) من أهم الأسلحة الحربية الذي يستخدم في الحصار لما له من نتائج عظيمة في التأثير، وكان يصنع في زردخانة قلعة الكرك والأغوار حيث لأشجار ومناطق أخرى من بلاد الشام، والمنجنيق هو عبارة عن عمود خشبي طويل، يوضع على عربة — على قاعدة خشبية ويركب في أعلى هذا العمود ذراع

المنجنيق بحيث يكون قابلاً للحركة، والتأثر والتأرجح حول المحور، ويكون ربع الذراع إلى الأسفل وثلاثة أرباعه نحو الأعلى⁽¹¹²⁾، وهو عدة أنواع بأحجام مختلفة حسب الحصن المحاصر⁽¹¹³⁾.

وفي العصر الأيوبي كان الناصر صلاح الدين الأيوبي يدرك مدى أهمية المنجنيق في حسم المعارك مع الصليبيين فقد جهز جيشه بعدد من المجانيق أثناء حصار صفد، الأمر الذي سهل عليه وعلى جنوده فتح قلعتها بكل سهولة⁽¹¹⁴⁾. وكذلك حصار صلاح الدين لقلعة عكا سنة (583هـ / 1187م)، علم من العيون الذين أرسلهم لاستطلاع أمر الصليبيين أنهم بنوا برجاً ضخماً ونصبوا منجنيقاً ضخماً أعد لضرب المسلمين، فلما علم صلاح الدين بذلك أرسل مجموعة من أفراد جيشه لتدميره، فخرقوه وحرّموا الصليبيين استخدامه الأمر الذي أضعفهم أمام قوات صلاح الدين⁽¹¹⁵⁾.

وظل المنجنيق مستخدماً وفعالاً طوال العصرين: الأيوبي والمملوكي، وبنفس الأهمية في حصار الحصون، ففي سنة (664هـ / 1266م) حاصر الظاهر بيبرس قلعة صفد حيث تحصن بها عدد من الفرسان الصليبيين، وكان بيبرس يقود جنوده بنفسه، وكان يقوم بالأعمال البدنية لاستثارة حماس جنوده، إذ كان يجز الأخشاب لبناء المجانيق اللازمة للحصار وبِنفسه⁽¹¹⁶⁾.

ومن آلات الحصار أيضاً: (الدبابة) والتي استخدمت في الجيش الإسلامي منذ القدم، حيث كانت مهامها الحصار وهدم الحصون، وقد حصل على هذه الآلة تطوراً ملحوظاً في العصرين: الأيوبي والمملوكي، فقد أصبح حجمها أكبر وتعمل بفعالية أكبر من حيث التأثير على العدو، حتى وصلت إلى شكلها في العصرين: الأيوبي والمملوكي، فقد أصبحت الدبابة ذات أربع طبقات الأولى من الخشب والثانية من الرصاص والثالثة من الحديد والرابعة من النحاس، وهذا الشكل وصفه النويري من خلال حصار الجيش الأيوبي لعكا⁽¹¹⁷⁾.

ومن أدوات الحصار أيضاً (السلالم الخشبية) التي كانت تصنع من الأخشاب التي تجلب من الأغوار وغيرها من بلاد الشام، وكانت تستخدم في حالات الحصار لحصن ما أو لقلعة، فيقوم الجند بتسلق الأسوار، واقتحام الحصون، وهذا ما حصل سنة (661هـ/ 1263م) عندها حاصر الظاهر بيبرس قلعة الكرك⁽¹¹⁸⁾.

وقد صنع (الرمح) من أغصان الأشجار التي تجلب من الأغوار وتصنع فيها وفي مناطق متعددة من بلاد الشام، والرمح عود طويل من الخشب. يثبت في رأسه حربه يستعمل في الطعن عند القتال، وهو عدة أنواع، فمنه ما يستخدمه المشاة وهو قصير، ومنه أنواع طوال يستخدمها الفرسان في قتالهم⁽¹¹⁹⁾.

وكانت (الأقواس) تصنع من الأخشاب أيضاً، والقوس سلاح معروف في كل بلدان العالم، ويتخذ من عود الشجر، ينثني طرفاه ليصبح مقوساً كالهلل، ويُشد في طرفيه الوتر وتُقذف به السهام⁽¹²⁰⁾ وللقوس عدة أنواع، لكل نوع منها غرض⁽¹²¹⁾.

وقد ذاع صيت مدينة زُغر في صناعة الأقواس التي تنسب إليها وسميت باسمها، (الأقواس الزغرية)، وكانت الأقواس من الأسلحة المفضلة في الجيش الإسلامي في العصرين: الأيوبي والمملوكي، وكانت تصنع من السنديان الذي ينبت على أطراف نهر الأردن وفي المرتفعات القريبة منه⁽¹²²⁾.

وكذلك اختصت مدينة زغر بصناعة (الكنائن) الحُمر المذهبة⁽¹²³⁾، والكنانة: عبارة عن جعبة تملأ بالسهم وتعلق في ظهر الجندي حتى يتمكن من تناول السهم ووضعها بالقوس ويسدد رمية بسهولة ويسر⁽¹²⁴⁾.

16:3 بناء الجسور:

والجسر هو عبارة عن قنطرة ونحوها وما يُعبر عليه وهو الحد الفاصل بين أرضين⁽¹²⁵⁾، وقد اهتم السلاطين في العصرين: الأيوبي والمملوكي، اهتماماً كبيراً بأمر الجسور لدرجة كبيرة، إذ كانوا يرسلون في كل سنة عدداً من الأمراء إلى مختلف الولايات لعمارة الجسور، ويُعبر عن هذا الأمر "بكاشف الجسور"⁽¹²⁶⁾. ويلحق بالكاشف عدد من المهندسين يعملون إلى جانبه في عمارة الجسور⁽¹²⁷⁾.

ولأن نهر الأردن يقسم الغور إلى شطرين فقد كانت الحاجة ملحة لإنشاء الجسور من أجل عبور الناس ودوابهم من جهة إلى أخرى ففي سنة : (664هـ / 1266م) أمر السلطان الظاهر بيبرس أثناء زيارته لبلاد الشام ببناء جسر من الخشب على نهر الأردن بالقرب من دامية⁽¹²⁸⁾، وسمي باسمها، وقد انتدب السلطان مجموعة من المشرفين والبنائين والمهندسين لعمارة هذا الجسر الذي كتب المرسوم السلطاني أن يُعمر على خمسة قناطر، فعمروه حسب المرسوم، ولكن كان النهر سريع الجريان فاهتزت أركانه، وبلغ السلطان ذلك، فانزعج وأمر بإعادة إعماره وإصلاحه، فتعذر عليهم ذلك، إلى أن تم إعماره بعد انقطاع مياه النهر، فصار الجسر أمتن من قبل⁽¹²⁹⁾.

ومن الجسور التي أنشئت في الأغوار في العصر المملوكي، جسر المجامع على نهر الأردن في الغور الشمالي قرب الشونة حالياً، وكان ذلك سنة (741هـ / 1340م) وذلك لتسهيل طرق البريد آنذاك، فكان البريدي إذا أراد الذهاب من الغرب إلى شرق نهر الأردن، يضطر لخوض الشريعة، وقد غرق بعض البريديه فيه، لذلك تم إنشاء هذا الجسر حفاظاً على حياة البريديين ولحاجة المنطقة لمثل ذلك⁽¹³⁰⁾.

وبالإضافة إلى ما ذكر من صناعات قائمة على الإنتاج النباتي فقد وجدت بعض الصناعات الأخرى مثل الأبواب والشبابيك والتي صنعت من أخشاب أشجار البلوط والسرو والخروب والسنديان الموجودة في الغور، وكذلك الصناديق والشبابه وغيرها⁽¹³¹⁾.

4. الخاتمة:

لقد بحثت هذه الدراسة موضوع: الصناعة الزراعية في غور الأردن في العصرين: المملوكي والأيوبي، والأهمية الاقتصادية للزراعة في الغور، وتتبع الباحث كل ما يتعلق بالزراعة وأثرها الاقتصادي على المنطقة بشكل عام.

إن موقع غور الأردن من الأهمية بمكان، فهو جزء لا يتجزأ عن بلاد الشام وتكمن أهميته في أنه حلقة وصل بين مصر والشام والشرق، وكانت مادة أولية للكثير من

الصناعات القائمة على الإنتاج النباتي بكافة أشكاله، ومناخ الأغوار وخصوبة أراضيه جعل منه أرضاً طيبة تنتج أهم المحاصيل التي لا يمكن الاستغناء عنها في الدولة، لذا فقد حظيت باهتمام السلاطين في العصرين: الأيوبي والمملوكي، وكان يُرسل شاداً خاصاً للإشراف على عملية إنتاج المحاصيل من قبل والي دمشق إلى الغور التي اشتهرت بزراعة قصب السكر وغيرها من المحاصيل في تلك الفترة. والزراعة ما يقوم عليها من صناعات تُعد من أهم مظاهر النشاط الاقتصادي في المجتمع، وقد أوضحت الدراسة هذه الأهمية من خلال المصادر التاريخية المتنوعة والمختلفة.

وقد أوضحت الدراسة ازدهار الزراعة في منطقة الدراسة في العصرين: الأيوبي والمملوكي، ودورها في رفد الدولة بما تحتاجه من مواد غذائية عالية الجودة، وكذلك مواد أولية للكثير من الصناعات القائمة على ما تنتجه المنطقة من نباتات. واستفادت الحضارة الإسلامية من الأمم الأخرى في تطوير حضارتها، ومنها الاقتصادية ممثلة في استخدام بعض الأدوات الزراعية، واقتباس بعض الأساليب الزراعية لتطوير هذا المورد الهام في رفد الاقتصاد، وكذلك تطوير بعض الصناعات القائمة على المنتج النباتي لتسد حاجة البلاد وما يفيض عن حاجتها يتم تصديره إلى الخارج، الأمر الذي يعكس إيجاباً على خزينة الدولة في تلك الفترة. وبينت الدراسة أن المزارع في غور الأردن امتاز بالحرفية العالية في زراعته، واستطاع تسخير هذه المنتجات في صناعات متقنة ذات ذوق رفيع، مثل وجود الكثير من معاصر قصب السكر في الغور وامتازت بالجودة العالية التي وصلت شهرته إلى أنحاء عدة من العالم.

الهوامش:

- (1) الغور: هو كل منخفض من الأرض ومن كل شيء قعره وعمقه، ويقال سبر غوره تبين حقيقته وسره جمعها غير أن داغور، وهي منطقة تقع جنوبي بلاد الشام منخفضة جداً تحت مستوى سطح البحر - ابن سيدة، أبو الحسن بن إسماعيل المرسي، (ت: 458هـ/1065م)، المخصص، (5) أجزاء، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت 1417هـ/1996م، ج3، ص311. الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، (ت: 666هـ، 1267م)، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ط5، بيروت، 1420هـ/1999م، ص231. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، (ت: 711هـ/1311م)، لسان العرب، (15) جزء، دار صادر، ط3، بيروت، 1414هـ/1993م، ج4، ص263، ج5، ص33-34. مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، د. ط، القاهرة، د، ت، ج2، ص666.
- (2) المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، (ت: 3800هـ/990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه ووضع حواشيه محمد أمين الفناوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1424هـ/2003م، ص151.
- (3) المقدسي، المصدر السابق، ص150-151.
- (4) البحر الميت، ذكر بالمصادر القديمة بأسماء عدة، وهي: البحيرة المنتنة لرائحتها الكريهة، والبحيرة المقلوبة، نظراً للخسف فقلبت أعلاها أسفلها، والبحر الميت لأنه لا حياة فيها، وهي بحيرة لوط - نسبة للنبي لوط عليه السلام - وهي أخفض في العالم عبر مستوى سطح البحر، تقع في الغور غرب الأردن حالياً، المقدسي، المصدر السابق، ص152، الحموري، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، (ت: 626هـ/1280م)، معجم البلدان، (8) أجزاء، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ط1، بيروت، 1417هـ/1997م، ج1، ت2، ص280. لسترانج، في، فلسطين في العهد الإسلامي، ترجمة محمود عمارة، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، 1390هـ/1970، ص78. جبر، يحيى عبد الرؤوف، معجم البلدان الأردنية والفلسطينية، حتى نهاية القرن السابع الهجري، دار اللوتس، عمان، 1408هـ/1988م، ص22-23.
- (5) أريحا: مدينة في الغور من أراضي الأردن بالشام، وتقع الآن غرب البحر من أرض فلسطين تحت الاحتلال الصهيوني، الحموي، معجم البلدان، مج1، ج1، ص136.
- (6) زُغر: تقع في طرف البحيرة المنتنة - البحر الميت، جنوب شرق البحر الميت، كانت مركز زراعي وصناعي هام في العصرين: الأيوبي والمملوكي، وجاء الاسم نسبة لصغرى بنات لوط - عليه السلام - التي دفنت هناك وكان اسمها زُغر، ولا يوجد أثر في وقتنا الحاضر لهذه المدينة، وربما يعود ذلك إلى الزلازل التي ضربت المنطقة في نهاية عصر المماليك وبداية العصر العثماني، الحموي، معجم البلدان، مج2، ج4، ص476-477.

- (7) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 152، 158. الحموي، معجم البلدان، مج 2، ج 4، ص 476-477. لسترانج، فلسطين، ص 68. جبر، معجم البلدان، ص 22-23.
- (8) أيلة (العقبة): مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر)، وهي آخر الحجاز وأول الشام، تقع في الوقت الحاضر جنوبي المملكة الأردنية الهاشمية، وهي المنفذ البحري الوحيد لها، الحموي، معجم البلدان مج 1، ج 1، ص 232-233. غوانمة، يوسف حسن درويش، أيلة (العقبة)، والبحر الأحمر، دار هشام، ط 1، واريث، 1404هـ/ 1984م، ص 13-15.
- (9) الاضطخري، ابن إسحاق إبراهيم محمد الفارسي، (المعروف بالكرخي)، (ت: 321هـ/ 933م)، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، مراجعة محمد شفيق غربال، دار القلم، و. ط، دمشق، 1381هـ/ 1961م، ص 44-45. الحموي، معجم البلدان، مج 3، ج 6، ص 399-400. جبر، معجم البلدان، ص 178-179. غوانمة، أيله، ص 59 وما بعدها.
- (10) النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التميمي البكري، (ت: 733هـ/ 1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، (33) جزء، دار الكتب والوثائق القومية، ط 1، القاهرة، 1423هـ/ 2002م، ج 8، ص 264-272. ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه الدمشقي الصالحي، (ت: 953هـ/ 1546م)، مفاهمة الخلان في حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1418هـ/ 1998م، ص 106. غوانمة، يوسف حسن درويش، تاريخ شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى، (القسم الحضاري)، جمعية عمال المطابع التعاونية، وزارة الثقافة والشباب، عمان، 1399هـ/ 1979م، ص 81-83.
- (12) الحموي، معجم البلدان، ج 3، ج 6، ص 400.
- (13) النويري، نهاية الأرب، ج 58، ص 271. غوانمة، يوسف حسن درويش، دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الإسلامي، دار الفكر للنشر والتوزيع، د. ط، عمان، 1404هـ/ 1982م، ص 91-92.
- (14) الناصر داود، هو الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر، ابن السلطان الملك المعظم عيسى ولد بدمشق سنة (656هـ/ 1258م). الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان قايماز، (ت: 748هـ/ 1134م)، سير أعلام النبلاء (25) جزء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ص 3، بيروت، 1405هـ/ 1985م، ج 23، ص 376-381. وأنظر: الذهبي، العبر في خير من غير، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (4) أجزاء، دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت، بيروت، ج 3، ص 280. غوانمة، تاريخ شرقي الأردن: (القسم الحضاري)، ص 81.
- (15) الذهبي، سير أعلام، ج 22، ص 330، الصفدي، صلاح الدين بن أبيك بن عبد الله، (ت: 764هـ/ 1364م)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط، (29) جزء، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ/ 200م، ج 10، ص 190.
- (16) اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد، (ت: 726هـ/ 1325م)، ذيل مرآة الزمان، تحقيق وزارة التحقيقات الحكومية للحكومة الهندية، (4) أجزاء، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط 2، 1413هـ/ 1992م، ج 2، ص 476. غوانمة، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري)، ص 81.

- (17) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج4، ص172. ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، (ت: 807هـ/1404م)، تاريخ ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، حققه وضبط نصه قسطنطين زريق، د.ط، د.ت، ج7، ص256. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري)، ص81-82.
- (18) النويري، نهاية الأرب، ج31، ص108.
- القلقشندي، احمد بن علي بن احمد، (ت: 821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، د.ط، بيروت، د.ت، ج4، ص194. ابن تغري بردي، ابوالمحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري، (ت: 874هـ/1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (16) جزء، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دار الكتب، د.ط، القاهرة، د.ت، ج12، ص182. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري)، ص82.
- (19) ابن طولون، مفاهية الخلان، ص106. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري)، ص82.
- (20) النويري، نهاية الأرب، ج8، ص267. أبو دلو، ربي احمد، معاصر السكر في غور الاردن في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة في معهد الآثار، جامعة اليرموك، اردن، ص31.
- (21) النويري، نهاية الأرب، ج8، ص268. البيشاوي، سعيد عبدالله جبريل، نابلس، الاوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية خلال الحروب الصليبية (492-690هـ/1099-1291م)، تقديم: محمود احمد ابوعمجمة، د.ط، عمان، 1412هـ/1991م، ص218-219.
- (22) النويري، نهاية الأرب، ج8، ص268. الحمود، رنا سعد عوض، حرف وصناعات بلاد الشام في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة اليرموك، اردن، 1416هـ/1996م، ص130-131. سلوم، انتصار رشيد، الأهمية الاقتصادية والزراعية لجنوب بلاد الشام في العصر العباسي الاول والثاني (132-447هـ/749-1055م)، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم التاريخ، كلية الاداب، جامعة اليرموك، اردن، 1428هـ/2001م، ص104.
- (23) المراحل: مفردتها مرجل وهو القدر الكبير من النحاس. ابن سيده، المخصص، ج1، ص465. مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ص733.
- (24) النويري، نهاية الأرب، ج8، ص268-269. البيشاوي، نابلس، ص218.
- (25) النويري، نهاية الأرب، ج8، ص268. البيشاوي، نابلس، ص218.
- (26) النويري، نهاية الأرب، ج8، ص271. أبو دلو، معاصر السكر، ص33.
- (27) ابن أبيك، صلاح الدين خليل الصفدي، دار الفكر المعاصر، (ت: 764هـ/1362م)، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، (5) أجزاء، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، 1418هـ/1998م، ج1، ص622. لسترانج، فلسطين، ص35. كرد علي، محمد، خطط الشام، (4) اجزاء، مكتبة النوري، ط3، دمشق، 1403هـ/1982م، ج4، ص147. زيتون، عادل، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار دمشق، ط1، دمشق، 1400هـ/1995م، ص174.

- (28) براور، يوشع، الاستيطان الصليبي في فلسطين "مملكة بيت المقدس"، ترجمة: عبد الحافظ البنا، عين للبحوث والدراسات الانسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 1422هـ/2001م، ص417. الخرابشة، سليمان عبد العبد الله، نيابة طرابلس في العصر المملوكي، ط1، عمان، 1414هـ/1993، ص160-161.
- (29) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص158. الحموي، معجم البلدان، ج2، ج3، ص48. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري)، ص86.
- (30) القاسمي، محمد سعيد وآخرون، قاموس الصناعات الشامية الشامية، حققه وقدم له ظافر القاسمي، دار طلاس للدراسات، ط1، دمشق، 1409هـ/1988م، ج2، ص283. سلوم الأهمية الاقتصادية، ص100.
- (31) ابن طوق، شهاب الدين أحمد، (ت: 915هـ/1509م)، التعليق، مذكرات كتب بدمشق في أواخر العهد المملوكي، (885-908هـ/1481-1502م)، تحقيق الشيخ جعفر المهاجر، (4) أجزاء، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1421-1428هـ/2000-2007م) ج4، ص1900.
- (32) الشيزري، عبد الرحمن نصر بن عبد الله الشافعي، (ت: نحو 950هـ/1193م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريفي، دار الثقافة، بيروت، د. ت، ص22-24. ابن الأخوة، ضياء الدين محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد القرشي/ (ت 729هـ/1328م)، معالم القرية في أحكام الحسبة، دار الكتب العلمية، د. ط، 1421هـ/2001م، ص91.
- (33) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص156. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري)، ص125.
- (34) ابن الأخوة، معالم القرية، ص90. غوانمه، دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين، ص92.
- (35) شيخ الربوة، محمد بن أبي طالب الانصاري الدمشقي، (ت: 727هـ/1327م)، من كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، اختار النصوص وأعد لها وقدم لها عبد الرزاق الأصفر، منشوراة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د. ط، دمشق، 1403هـ/1983م، ص211. العليبي، مجير الدين أبو اليمين عبد الرحمن الحنفي، (ت: 928هـ/1522م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان يونس، جزان، مكتبة دنديس، د. ط، عمان، د. ت، ج2، ص304. غوانمه، تاريخ شرق الأردن، (القسم الحضاري)، ص84. الحجاج، موسوعة الزراعة، ص164-165. الزاملي، يوسف إبراهيم، زراعة الزيتون ببلاد الشام والصناعات القائمة عليها في العهد المملوكي (648-923هـ/1250-1516م)، بحث منشور في المؤتمر الدولي التاسع التاريخ في بلاد الشام، 9-13 جمادى الأولى 1433م/ 1-5 نيسان 2012م، الزراعة في بلاد الشام منذ أواخر العهد البيزنطي إلى نهاية العهد العثماني، مج4، الزراعة ومشاكلها، والتقنيات الزراعية وأهميتها، والخانات التجارية ودورها، منشورات مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، 1435هـ/2014م، ص283.
- (36) سورة النور، الآية رقم: 35.
- (37) العليبي، الأنس الجليل، ج2، ص75. لسترانج، فلسطين، ص2692. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري)، ص84. البيشاوي، نابلس، ص212.

- (38) الزنبيل، القفه أو الحلة، زنبيل كبير من القصب يجعل فيه الطعام. ابن منظور، لسان العرب، ج 11، ص 301، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج 1، ص 194.
- (39) الخرابشة، نيابة طرابلس، ص 162، سلوم، الأهمية الاقتصادية، ص 95.
- (40) كرد علي، خطط الشام، ج 4، ص 191. الحسن، أحمد يوسف، التقانة في فلسطين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، بحث منشور في كتاب الصراع الإسلامي- الفرنسي على فلسطين في العصور الوسطى، تحرير هادية الدجاني وشكيل الدجاني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط 1، 1415هـ/ 1994م، ص 540-541. الحمود، حرف وصناعات، ص 135-136 الزاملي، زراعة الزيتون، ص 290-291.
- (41) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص 194. الزاملي، زراعة الزيتون، ص 284.
- (42) جقمق: السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق بن عبد الله العلاني الظاهري، السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين المماليك تسلطن سنة : (842هـ/ 1438م)، توفي سنة (857هـ/ 1453م). ابن تغري بردي، ابوالمحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري، (ت: 874هـ/ 1469م)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، حققه ووضع حواشيه محمد محمود أمين، تقديم: سعيد عبدالفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (7 أجزاء، دط، القاهرة، 1409هـ/ 1988م، ج 4، ص 84.
- (43) العليبي، الأنس الجليل، ج 2، ص 75. براور، الاستيطان الصليبي، ص 427. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري)، ص 84.
- (44) النويري، نهاية الأرب، ج 1، ص 74. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن (القسم الحضاري)، ص 84.
- (45) النويري، نهاية الأرب، ج 33، ص 271. العليبي، الأنس الجليل، ج 2، ص 304. البيشاوي، نابلس، ص 221.
- (46) النويري، نهاية الأرب، ج 12، ص 118، 128. براور، الاستيطان الصليبي، ص 470. الدباغ، مصطفى مراد، المملكتان النباتية والحيوانية في بلادنا فلسطين، وأثرها في تسمية امكنتها، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 1، بيروت، 1405هـ/ 1985م، ص 29-30.
- (47) الأشنان: هو شجر صغير لا ورق فيه، يقال له الحرض وهو من الحمض، ومنه يسوى القلى الذي تغسل به الثياب والأيدي، ابن منظور، لسان العرب، ج 7، ص 135. مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج 1، ص 19.
- (48) راوولف، ليونهارت، رحلة المشرق إلى العراق وسوريا ولبنان، ترجمة سليمان التكريتي، وزارة الثقافة والفنون العراقية، بغداد، 1399هـ/ 1978م، ص 34-35. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري)، ص 85. الحمود، حرف وصناعات، ص 132.
- (49) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 149، 153. البيشاوي، نابلس، ص 217.
- (50) براور، الاستيطان الصليبي، ص 491-492. البيشاوي، نابلس، ص 217.
- (51) عبد الغني، مصطفى ليب، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

- (52) القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، ج2، ص261، البيشاوي، نابلس، ص217.
- (53) الانطاكي، داوود بن عمر، (ت: 1008هـ/ 1599م) تذكرة أولي الألباب، والجامع للعجب العجاب، جزآن المكتبة الثقافية، د. ط، بيروت، 1401هـ/ 1980م، ج1، ص221.
- (54) راوولف، رحلة المشرف، ص35.
- (55) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص194. غوانمه، دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين، ص237-238. زيتون، العلاقات الاقتصادية، ص176. الزاملي، زراعة الزيتون، ص176.
- (56) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص160-162. ابن طوق، التعليق، ج4، ص1890. الدباغ، المملكتان، ص57-79.
- (57) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص153. البيشاوي، نابلس، ص219.
- (58) ابن بطوطة، أبو عبد الله بن عبد الله الطنجي، (ت: 779هـ/ 1377م)، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأسفار، جزآن، دار الشرق العربي، بيروت، د. ط، د. ت، ج1، ص44-45.
- (59) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن شاهنشاه بن أيوب، (ت: 732هـ/ 1331م) المختصر في أخبار البشر، (4) أجزاء، المطبعة الحسينية المصرية، ط4، القاهرة، د. ت، ج3، ص159. غوانمه، يوسف حسن درويش، إمارة الكرك الأيوبية، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، 1433هـ/ 2011م، ص234.
- (60) العمري، شهاب الدين بن يحيى بن فضل الله، (ت: 749هـ/ 1348م) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (27) جزء، ط1، المجمع الثقافي، أبوظبي، 1423هـ/ 2004م، ج8، ص396-397. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص58. الحمود، حرف وصناعات، ص124.
- (61) ابن الأخوه، معالم القرية، ص109-110. الحمود، حرف وصناعات ص124.
- (62) ابن حجي الحسباني، شهاب الدين أبي العباس أحمد، (ت: 816هـ/ 1413م)، الذيل على تاريخ ابن كثير، المعروف بتاريخ ابن حجي، دراسته وتحقيق عمر علي ذياب الشامي، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم التاريخ، جامعة اليرموك، إربد، 1419هـ/ 1999م، ص91. دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، ط1، دمشق-بيروت، 1420هـ/ 1981م، ص11.
- (63) العمري، مسالك الأبصار، 940، ص355. البشاوي، نابلس، ص219. الحمود، حرف وصناعات، ص124.
- (64) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص104-105. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري)، ص57. الحجاج، عادل محمد علي الشيخ حسين، موسوعة الزراعة في التاريخ، دار الحموي، ط1، عمان، 1431هـ/ 2009م، ص166.
- (65) النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل، (ت: 1143هـ/ 1730م) الملاحه في علم الفلاحة، تحقيق عادل محمد الحجاج، دار العشاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1422هـ/ 2001م، ص194-195، 197، سلوم، الأهمية الاقتصادية، ص101.

- (66) القلة: إناء من الفخار كالجرة يشرب منها وتستخدم لتخزين المواد الغذائية. ابن منظور، لسان العرب، ج 11، ص 565، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج 2، ص 756.
- (67) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج 1، ص 62.
- (68) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج 1، ص 62، ج 2، ص 404، الحمود، حرف وصناعات، ص 125.
- (69) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج 1، ص 62. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري)، ص 57.
- (70) المقدسي، حسن التقاسيم، ص 154-155. القلقشندي، صبح الأعشى، ج 4، ص 77، العليمي، الأنس الجليل، ج 1، ص 154، 253. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري) ص 80. الدباغ، المملكتان، ص 64. الحجاج، موسوعة الزراعة، ص 164.
- (71) سورة البقرة، الآية رقم: 219.
- (72) ابن سيده، المخصص، ج 3، ص 192-209.
- Considine, Douglas Maxwell, Food predation, Encyclopedia, Van Nostrons Reinhold, New York, 1982, p 2156-2154.
- سلوم، الأهمية الاقتصادية، ص 110.
- (73) براور، الاستيطان الصليبي، ص 471-470.
- (74) Adler, ElkhannNathen, Jewish Travellers, london: Published by george Rout Ledge, and sons, L.T.D, Broad. Way house, carter lane, p. 180.
- حجازي، فايزة عبد الرحمن، أهل الذمة في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الأدب، قسم التاريخ، أربد، 1412هـ/ 1992 م، ص 113.
- (75) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج 1، ص 364، ج 3، ص 84-85.
- (76) أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي، (ت: 665هـ/ 1266م)، عيون الروضتين في اختبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزبيقي، (5) أجزاء، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ/ 1997م، ج 3، ص 62، ج 4، ص 418. حجازي، فايزة عبد الرحمن، أهل الذمة في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم التاريخ، جامعة اليرموك، أربد، 1412هـ/ 1992م، ص 114.
- (77) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (ت: 748هـ/ 1347م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق بشار عواد معروف، (15) جزء، ط 1، دار العرب الإسلامية، 1424هـ- 2003م، ج 13، ص 453، 615.
- (78) المقرئ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي عبد القادر الحسيني العبيدي، (ت: 845هـ/ 1441م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، دار الكتب العلمية، (4) أجزاء، ط 1، بيروت، 1418هـ/ 1997م، ج 1، ص 198. حجازي، أهل الذمة، ص 115.
- مدارات تاريخية - دورية دولية محكمة ربع سنوية

- (79) العلمي، الأنس الجليل، ج 1، ص 303. هايد، ف، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد رضا محمد رضا، مراجعة عز الدين فوده، (4) أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، القاهرة، 1412هـ/1991م، ج 2، ص 254.
- (80) هايد، تاريخ التجارة، ج 2، ص 291-292، غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري)، ص 85. سلوم، الأهمية الاقتصادية، ص 110.
- (81) بيركهارت، رحلات بيركهارت في سوريا الجنوبية، ترجمة انور عرفان، المطبعة الاردنية، عمان، 1389هـ/1969م، ج 2، ص 57.
- (82) غوانمه، يوسف حسن، صفحات من تاريخ القدس وفلسطين والأردن، دار الفكر للطباعة والنشر، ط 1، عمان، 1419هـ/1999م، ص 62. سرور، محمد جمال الدين، دولة الظاهر بيبرس في مصر، دار الفكر العربي، د. ط، القاهرة، د. ط، ص 143.
- (83) براور، الاستيطان الصليبي، ص 469. لسترانج، فلسطين، ص 241. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، والقسم الحضاري، ص 83. زيتون، العلاقات الاقتصادية، ص 175.
- (84) ابن حوقل، ابوالقاسم محمد البغدادي الموصل، (ت: بعد 367هـ/1280م)، صورة الأرض، جزأين، دار صادر-اقست ليدن، د. ط، بيروت، 1357هـ/1938م، ج 1، ص 184. كرد علي، خطط الشام، ج 4، ص 138. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري)، ص 83-84.
- (85) الوراقين: مفرداها وراق، وهو الناسخ، أما بائع الورق، فيقال له كاغدي. دهمان، معجم الألفاظ، ص 155.
- (86) أحمد الحسن، التقانة في فلسطين، ص 544.
- (87) عاشور، سعيد عبد الفتاح، المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية، مكتبة الأنجلو المصرية، د. ط، القاهرة، 1425هـ/2005م، ص 185. الشكيل، علي جمعان، صناعة الورق في الحضارة الإسلامية، مجلة آفاق للثقافة والتراث، العدد 31، لسنة (2000م)، ص 118.
- (88) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 153-154. أحمد الحسن، التقانة في فلسطين، ص 544.
- (89) القلقشندي، صبح الأعشى، ج 2، ص 515-516. ابن طوق، التعليق، ج 1، ص 528. أحمد الحسن، التقانة في فلسطين، ص 544.
- (90) ابن باديس، المعز بن باديس بن المنصور التميمي الصنهاجي، (ت: 454هـ/1062م)، عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، تحقيق نجيب إيل الهروي وعصام مكية، مجمع البحوث الإسلامية، ط 1، إيران، 1409هـ/1989م، ص 89-91. أحمد الحسن، التقانة في فلسطين، ص 545.
- (91) تشوانغ وي، الاختراعات الأربعة العينية في العصور القديمة، 11، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، 1402هـ/1998م، ص 30. أحمد الحسن، التقانة في فلسطين، ص 545. سلوم الأهمية الاقتصادية، ص 105.
- (92) لسترانج، فلسطين، ص 36-37. عاشور، المدنية الإسلامية، ص 186.
- (93) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 153-154. أحمد الحسن، التقانة في فلسطين، ص 543. سلوم،

- (94) متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، الجزء الثاني، ترجمة: ابوريدة، محمد عبد الهادي، المركز القومي للترجمة، د.ط، القاهرة، 1430هـ/2008م، ج2، ص10. لسترانج، فلسطين، ص241، غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري)، ص83-88.
- (95) الفلقشندي، صباح الأعشى، ج3، ص439. سرور، دولة الظاهر بيبرس، ص140.
- (96) جواد علي، المفصل، ج14، ص283 وما بعدها. سلوم، الأهمية الاقتصادية، ص126.
- (97) ابن بطوطة، الرحلة ج1، ص62. رنسيमान، ستيفان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: الباز العريفي، دار الثقافة، د.ط، بيروت، 1388هـ/1968م، ج2، ص509.
- (98) رنسيमान، الحروب الصليبية، ج3، ص603. كرد علي، خطط الشام، ج4، ص139. البيشاوي، نابلس، ص220.
- (99) النويري، نهاية الأرب، ج23، ص447.
- (100) ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص258. مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص49.
- (101) ابن الأخوة، معالم القرية، ص232. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري)، ص86.
- (102) ابن الأخوة، معالم القرية، ص207-208. ابن طولون، مفاكهة الخلان، ص409-411. القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، ج1، ص98-99. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن (القسم الحضاري)، ص86.
- (103) النويري، نهاية الأرب، ج8، ص269، غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري)، ص86.
- (104) الحريري، احمد بن علي، (ت: في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي)، الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، حقق نصه وقدم له وعلق عليه سهيل زكار، مكتبة دار الملاح، دمشق، د.ت، ص66.
- (105) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص247. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري)، ص56.
- (106) القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، ج2، ص336. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن (القسم الحضاري)، ص87. غرابية، خليف مصطفى حسن، الجغرافيا التاريخية للمنطقة الغربية من جبل عجلون، وزارة الثقافة، مطبعة الروزنا، ط1، اربد، 1418هـ/1997م، ص177.
- (107) ابن عبد الظاهر، محي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين، (ت: 692هـ/1293م)، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، د. ط، القاهرة، 1381هـ/1961م، ص196.
- (108) الحريري، الإعلام والتبيين، ص66. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري)، ص87.
- (109) لمبارد، موريس، الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي، خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة، د. ط، دار الفكر، دمشق، 1399هـ/1979م، ص203. كرد علي، خطط الشام، ج4، ص153.
- (109) لومبارد، الجغرافيا التاريخية، ص204. ضومط، انطوان خليل، الدولة المملوكية، التاريخ السياسي الاقتصادي والعسكري، دار الحداثة، ط2، بيروت 1403هـ/1983م، ص168.

- (110) المقرئ، الخطط، ج2، ص 423، ج3، ص 337، ضومط، الدولة المملوكية، ص 169. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري)، ص 89.
- (111) أبو الفداء، المختصر، ج3، ص 65. غوانمه، إمارة الكرك، ص 128-129. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري)، ص 89.
- (112) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 11. ابن حجي الحسباني، الذيل على تاريخ ابن كثير، ص 118. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري)، ص 89.
- (113) مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب، (ت: 421هـ/ 1030م) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، (7) أجزاء، تحقيق أبو القاسم إمامي، شروش، ط2، طهران، 1421هـ/ 2000م، ج4، ص 343. أحمد الحسن، التقانة في فلسطين، ص 554.
- (114) ابن شداد، أبو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي الموصل، (ت: 632هـ/ 1234م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، تحقيق جمال الدين الشيال، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1415هـ/ 1994م، ص 152. أبو شامة، عيون الروضتين، ج4، ص 49، عاشور، سعيد عبدالفتاح، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، د.ط، بيروت، د.ت، ص 58-59.
- (115) أبو شامة، عيون الروضتين، ج4، ص 121-122. الحري، الإعلام والتبيين، ص 69-102.
- (116) النويري، نهاية الأرب، ج3، ص 270.
- (117) النويري، نهاية الأرب، ج3، ص 428-430.
- (118) النويري، نهاية الأرب، ج3، ص 80. غوانمه، نيابة بيت المقدس، ص 322.
- (119) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، (ت: 255هـ/ 868م)، البيان والتبيين، (3) أجزاء، دار مكتبة الهلال، د.ط، بيروت، 1423هـ/ 2002م، ج3، ص 17. النبراوي، فتحة عبد الفتاح، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، دار الفكر العربي، ط9، القاهرة، 1419هـ/ 1999م، ص 248.
- (120) ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص 247.
- (121) النويري، نهاية الأرب، ج6، ص 222-225.
- (122) النويري، نهاية الأرب، ج6، ص 228-229. غوانمه، تاريخ شرق الأردن، (القسم الحضاري)، ص 91.
- الدباغ، المملكتان، ص 16-17. الحمود، حرف وصناعات، ص 71.
- (123) غوانمه، تاريخ شرق الأردن، (القسم الحضاري)، ص 91.
- (124) القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص 21.
- (125) مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص 122.
- (126) كاشف الجسور: هو الذي يشرف على عمارة الجسور وأحوال الجسور في الدولة ويعين من قبل السلطان، المقرئ، الخطط، ج4، ص 131. البقلي، محمد قنديل، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، القاهرة، 1404هـ/ 1983م، ص 283.

- (128) دامية: من قرى الغور الأوسط تتبع الشونة الجنوبية إدارياً في وقتنا الحاضر، وهي من الجهة الشرقية لنهر الأردن، وإلى الجنوب منها يقع البحر الميت. أنظر: النويري، نهاية الأرب، ج 3، ص 127.
- (129) النويري، نهاية الأرب، ج 3، ص 127-128.
- (130) العمري، التعريف، ص 276-277. القلقشندي، صبح الأعشى، ج 14، ص 425. غوانمه، تاريخ شرقي الأردن، (القسم الحضاري)، ص 64.
- (131) العمري، التعريف، ص 276-277. القلقشندي، صبح الأعشى، ج 2، ص 160.